مجلة البحث التربوي

المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية
NATIONAL CENTER FOR EDUCATIONAL RESEARCH AND DEVELOPMENT

الآثار النفسية والاجتماعية للأطفال في ظل الحروب والنزاع المسلح وسبل التغلب عليها

إعداد

أ.د رسمي عبد الملك رستم
أستاذ الإدارة والتخطيط التربوي
المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية

أ.د عزة جلال مصطفى نصر
أستاذ الإدارة التربوية
المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية

الناشر
المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية بالقاهرة
جمهورية مصر العربية
يوليو ٢٠٢٤م

الآثار النفسية والاجتماعية للأطفال في ظل الحروب والنزاع المسلح وسبل التغلب عليها

إعداد

أ.د رسمي عبد الملك رستم
أستاذ الإدارة والتخطيط التربوي
المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية

أ.د عزة جلال مصطفى نصر
أستاذ الإدارة التربوية
المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية

مقدمة:

يعيش العالم اليوم حالة من الاضطرابات السياسية والاقتصادية الناجمة عن الحروب والنزاع المسلح الذي تعاني منه العديد من الدول؛ أبرزها: فلسطين واليمن والسودان والنيجر وأثيوبيا وجنوب السودان وأوكرانيا وغيرها من الدول، والناجم عن الصراع على الأرض أو الموارد، أو الناتج عن انقلاب عسكري على الحكام وغيرها من العوامل التي شجَّعت على مثل هذه الحروب، وأيًا كان السبب وراء هذه الحروب والنزاعات المسلَّحة فإن الأطفال من أبرز المتأثرين بهذه الظروف؛ حيث يعاني الأطفال العديد من المشكلات النفسية أو الاجتماعية التي تؤثر بشكل مباشر على شخصياتهم وسلوكياتهم واتجاهاتهم المستقبلية في التعامل مع المجتمع.

وتتباين الحروب بين حروب مُسلَّحة وحروب نووية وحروب اقتصادية وأخرى عكسرية، وتشير الحروب التي تتناولها الورقة البحثية الحالية إلى نزاع تُستخدم فيه القوة المسلحة التي قد تكون بين مجموعتين تسمى جيوشًا نظامية، أو بين جماعات شبه نظامية والمعروفة باسم الميلشيات، وقد تكون بين قوات نظامية وشبه نظامية؛

حيث تستخدم كل جماعة الوسائل المتاحة لديها لإلحاق الضرر والأذى بالطرف الآخر، ويتم ذلك عن طريق التدمير المنظَّم المخطَّط بالاستعانة بمعلومات عسكرية عن الطرف الآخر تجمعها أجهزة خاصة بها.

والأطفال في ظل هذه الظروف قد يفقدون أسرهم ويعيشون أسوأ أنواع العنف؛ فقد يتعرضون للخطف أو الاغتصاب أو الإصابات الخطيرة أو التعرض للحروق أو الغرق، إلى جانب تعرض أهلهم وأحبابهم للموت أمام أعينهم، علاوة على التهجير والخروج بشكل قسري من بيوتهم، وتدمير مدارسهم والتي في الغالب يتم تحويلها إلى أماكن للإيواء سواءً للنازحين أو الجنود، بجانب المراكز الصحية والمستشفيات والتي تتحول هي الأخرى لثكنات عسكرية أو مراكز لإيواء النازحين(ابن منصور والحسين، ٢٠٢١: ٢٣٦) ، وبذلك يفقد الأطفال الجانب الأسري والتعليمي والصحي، وجميعها أمور تساعد على دمار حالتهم النفسية والمعنوية، وتجعل البيئة التي يعيشون فيها بيئة غير آمنة، وهو ما سوف نتناوله في هذه الورقة العلمية عن الآثار النفسية والاجتماعية على الأطفال والناجمة عن الحروب والنزاع المسلح من خلال تناول أبرز هذه الآثار، وتناول مع يحدث في غزة باعتبارها أبرز النماذج الحية على الساحة العالمية اليوم، مع توضيح أبرز القوانين الدولية للحفاظ على حقوق الطفل خاصةً في ظل هذه الظروف، وتحاول الورقة العلمية التوصل إلى بعض الآليات المقترحة التي يمكن أن تحد من هذه الآثار؛ وذلك من خلال المحاور التالية:

أولًا: الآثار النفسية والاجتماعية التي يتعرض لها أطفال الحروب والنزاع المسلح

لعل أخطر آثار الحروب والصراع المسلح هي التي تظهر لدى الأطفال ليس وقت الحدث ولكن بعد الانتهاء منه، وقد حُمِّلوا نفسيًا بالعديد من الصور المؤلمة التي لا حصر لها؛ نتيجة ما عاصروه بأعينهم أثناء وجودهم داخل الأحداث،

أو المشاهد التي مروا بها من خلال وسائل الإعلام المختلفة والتي تجعلهم يشعرون وكأنهم في قلب الأحداث.

إن الطفل أو الإنسان بصفة عامة له العديد من الاحتياجات التي أشار إليها ماسلو؛ والتي يعبر عنها الشكل التالي:

شكل رقم (١) هرم ماسلو للاحتياجات

وطبقًا لهذا الهرم؛ فإن أبرز احتياجات الفرد هي الحاجات الفسيولوجية والمتمثلة في المأكل والمشرب والنوم وغيرها، يليها الحاجة للأمان والمتمثلة في السلامة الجسدية والأمن الأسري والصحي والممتلكات وأمن الموارد وغيرها، ويليها الحاجة الاجتماعية والمتمثلة في الألفة الجسدية والصداقة والعلاقات الأسرية، ولعل الحاجات الثلاثة الأولى هي أهم هذه الحاجات؛ وللأسف فإن هذه الحاجات لا تتوافر؛ بل تنعدم في أثناء الحروب.

وقد أكدت ذلك دراسة (الشامي،٢٠١٩: ٦٢) من خلال تناول آثار الحروب على الأطفال، والتي تظهر في العديد من الجوانب؛ ومنها:

- انعدام الاستقرار: والناجم عن النزوح والتهجير إلى مكان آخر آمن، وقد يقوم حينها الأطفال بالتخلي عن متعلقاتهم الشخصية والوثائق التي تحمل أسماءهم وجنسياتهم، وينتقلون إلى مكان آخر يضطرون فيه للتكيف مع قيمه ومعتقداته.
- نقص وانعدام الحنان: والذي ينتج من فقدان الأب أو الأم أو كليهما، وأن مَن حولهم من الكبار كذلك يعيشون حالة من القلق الناجم عن تمسكهم بالبقاء والحياة في ظل ظروف معيشية صعبة، وليس لديهم وقت لإعطاء الحب والحنان للذين حولهم من الأطفال.
- انعدام تجارب الطفل: والتي يكتسبها من المدرسة خلال التعليم والأنشطة، والتي انقطعت نتيجة ظروف الحروب، وانقطعت معها تجارب الطفل المُكتسبة لمواجهة مثل هذه الظروف.
- نقص احتياجات الطفل المادية: والتي تعد أولى الاحتياجات التي تُشعر الطفل بالأمان مثل المأكل والمشرب، وهو ما يؤثر بشكل مباشر على حالته الصحية.
- القفز عن مرحلة الطفولة: نتيجة تحمُّل الطفل مسئوليات الكبار عند فقد المعيل؛ بل الأكثر من ذلك قد يضطر إلى حمل السلاح وهو ما يُفقده طفولته وبراءته.
- انعدام الملجأ الآمن: حيث يترك الطفل منزله وهو مكان الأمان والطمأنينة، وينتقل إلى مكان آخر؛ ليس لأنه أفضل، ولكن هرَبا من الموت والخوف والدمار.

وعلاوة على الآثار التي تُخلِّفها الحروب لدى الطفل، فإن المشاهد التي يراها الطفل من سن الثالثة إلى السابعة تؤثر في سلوكه وتُشكِّل شخصيته، من هول ما يراه من جثث محروقة وأشلاء جثث وموت والديه أو أحدهما أمامه وهدم للبيوت أو تهجير

من أماكن إقامتهم وغيرها من أشكال الخراب التي تُخلِّفها الحروب والصراعات في بلدانهم؛ حيث إن هذه الآثار تُخزَّن لدى الأطفال وتظهر بشكل واضح في سن البلوغ على شكل العديد من الأمراض النفسية، فقد أظهرت العديد من الدراسات أن الطفل الذي يتعرض للعنف تظهر عليه أعراض الاكتئاب، وفي إحدى الدراسات التي أُجريت على الأطفال في سن البلوغ الذين تعرضوا لأحداث الحرب، أبرزت دراسة بمنظمة اليونسيف والتي أُجريت على (٥٠٠) طفل من لبنان، أن (٣٠%) من هؤلاء الأطفال يعانون من اضطرابات النوم، وأن (١٤%) يعانون من الاكتئاب، وأن (٤٠%) يفكرون في الانتحار (يافا وأوبو جدى، ٢٠١٦: ٢٢-٢٣).

فالاكتئاب يعد من أبرز الأمراض النفسية التي تظهر آثارها بوضوح على الأطفال في سن البلوغ، ولكن هناك بعض الآثار النفسية المباشرة التي تظهر على الأطفال والتي تناولتها دراسة (عبد الجبار، ٢٠١٥: ٥٥-٥٦)، ومن بينها:

- الفزع الليلي للطفل، والذي قد يكون ناجمًا عن تذكر الأحداث المؤسفة التي مر بها.
- القلق وعدم القدرة على مواصلة النوم بشكل صحي وصحيح.
- الفوبيا أو الخوف المرضي من الظلام.
- التبول الليلي اللاإرادي، والذي قد يكون عرضًا جديدًا على الطفل.
- اضطرابات الأكل وفقدان الشهية للطعام.
- الانتكاسات الصحية والعقلية للطفل، والناجمة عن القلق المزمن من فقدان الأهل والأحباب.
- العزلة والابتعاد عن الآخرين، والكآبة والحزن بشكل مستمر.

وقد أشارت دراسة (الشويع، ٢٠٢١: ٦٢-٦٣) إلى أن الحروب تترك العديد من الآثار النفسية على الأطفال والتي تأخذ أشكالًا متعددة، كالقلق الشديد والخوف من المجهول وعدم الشعور بالأمان والتوتر المستمر والانطواء والهواجس التي تصاحبه، فيشعر الطفل بأنه مهدد دومًا بالمخاطر وأن أسرته التي هي مصدر حماية بالنسبة له أصبحت عاجزة عن حمايته، وتظهر ردود فعل ناجمة عن هذه الآثار؛ متمثلة في انطواء الطفل وشكه بشكل مستمر فيمن حوله، والخوف والتوتر الذي يلازمه، وأنه دائما يتوقع الأسوأ، وغيرها من الأشكال التي يُخلِّفها العدوان على الأطفال في مثل هذه الظروف، وهي ما تجعل الطفل سريع الغضب والانفعال لأتفه الأسباب، يصرخ بلا سبب، غليظًا في تعاملاته مع الآخرين، يمكن أن يسمع أو يرى أشياء غير موجودة، كما أن هذه الآثار النفسية تؤثر على حالته الجسمانية؛ حيث يشعر بالإعياء وضعف القدرة على الحركة والنشاط.

كما تؤثر الحالة النفسية كذلك على التحصيل الدراسي للأطفال، والتي تظهر آثاره في النسيان وضعف القدرة على التفكير، وتأخر اكتساب المهارات اللغوية، وظهور مشكلات في الكلام؛ كالتلعثم أو الفقدان الوظيفي للكلام، رغم أن هذه الآثار لم يكن لها وجود قبل الحرب، وتحد هذه الإعاقات الإدراكية من الفرص الصحية والاجتماعية والاقتصادية العامة للأطفال المتضررين؛ حيث ينتهي الأمر بمعظمهم إلى الإقامة في مجتمعات ذات موارد محدودة للتعليم والتدريب المهني والرعاية النفسية والصحية (Deputy et al , 2022: 69-70)، أي إن مثل هذه الحروب تؤثر فيها الحالة النفسية على القدرة المعرفية والجسمانية والسلوكية لدى الأطفال، وتُشكِّل شخصية غير سوية لدى الطفل.

إن الحروب والنزاع المسلح خلَّف وراءه في السنوات العشر الماضية ما يقرب من مليوني طفل، علاوة على الأطفال المصابين بجروح خطيرة أو المعاقين؛ حيث ينقسم الأطفال في ظل هذه الظروف إلى العديد من الفئات؛ والتي يمكن تصنيفها إلى ما يلي(أوزي، ٢٠١٩، ٢٢-٢٣):

١. **الأطفال الجنود:** وهم الأطفال الذين دون سن الثامنة عشر، والذين يتم دمجهم إما في الجيش أو الجماعات المسلحة.

٢. **الأطفال النازحين:** وهم الذين تركوا بيوتهم وأماكن نشأتهم؛ ويمثلون الفئات التالية:

- الأطفال المستغَلين جنسيًا: وهم الذين يتم الاعتداء عليهم؛ وغالبًا ما ينتقل إليهم بعض الأمراض أخطرها الإيدز.
- الأطفال الجرحى أو المشوهين: وهم الذين تعرضوا للإصابات أو الإعاقات الناجمة عما تعرضوا له.
- الأطفال الأيتام: وهم الذين تعرضوا لفقدان والديهم أو أسرهم جراء القصف والعنف المسلَّح.

وعلاوة على الآثار النفسية فإن الوضع الاجتماعي لأطفال الحروب يكون سيئًا؛ حيث ينتج عن الحروب تدمير البنية التحتية ونقص المياه والغذاء والخدمات الصحية لديهم، وتعرُّضهم للعنف، وجميعها تؤدي إلى زيادة فرص الإصابة بالأمراض المزمنة غير المُعدية عند بلوغ الطفل؛ مثل: مرض السكري وأمراض القلب والأوعية الدموية، إلى جانب أمراض الرئة؛ مثل: الربو والسرطان وغيرها من الأمراض الناجمة عن الوضع الاجتماعي لهم(Gonçalves et. al.,2022, 105602). كما تزيد فرص الإصابة بالقلق واضطرابات ما بعد الصدمة لدى الأطفال، علاوة على المشاعر السلبية؛

مثل: الذنب والحزن والألم والوحدة، بل إن هذه التأثيرات على المدى الطويل تترك تأثيرًا سلبيًا على الأطفال؛ وهي انزعاجهم من الأصوات العالية أو التي تذكِّرهم بويلات الحرب؛ حيث تشير الإحصاءات إلى أن طفل من كل (٤) أطفال منهم في حاجة إلى دعم نفسي اجتماعي (Cincurova, 2022).

ويعيش أطفال الحروب في معظم أوقات الحرب كلاجئين؛ ولكن هل اللاجئون يعيشون مثل السكان الأصليين؟ نجد أن الكثير من الدراسات أكدت أن حياة الأطفال اللاجئين تكون في خيام أو بيوت صغيرة ذات نوعية داخلية سيئة، يعاني فيها الطفل من البرد والحرارة والرطوبة والتهوية؛ حيث لا تتوافر فيها الظروف الصحية الملائمة من إنارة وهواء وشمس، علاوة على الكثافة السكانية ونقص مستلزمات الحياة الفسيولوجية والأمن؛ وجميعها أمور تؤثر بشكل سلبي على الطفل، وتزيد من معاناته النفسية والاجتماعية وتؤثر على الجوانب السلوكية لديه (Kuru, N. et al, 2023: 2).

إن الآثار النفسية والاجتماعية للحروب على الأطفال تتطلب التصدي لها وعلاجها خاصةً ما بعد الصدمة وزوال السبب؛ نظرًا لما تُخلِّفه من آثار عميقة تؤثر على سلوكياتهم وشخصياتهم المستقبلية؛ لذلك فإن هؤلاء الأطفال لابد من عرضهم على طبيب نفسي أو مرشد نفسي واجتماعي؛ من أجل التخفيف من هذه الآثار أو محوها، مع محاولة إيجاد لغة مشتركة بين هذه الفئات المُعالِجة والطفل، والتي تمكِّنه من وصف خبراته القاسية التي مر بها، ليس فقط للتخفيف من آثارها بل لمحوها نهائيًا من خلال برامج التدخل المبكر؛ للحد من عوامل الخطر السلوكية لدى الأطفال وتحسين نتائج الصحة البدنية والعقلية، حتى يتمكن من أن يحيا حياة مستقبلية سعيدة (Auxéméry ,2022,100289).

ويتضح من العرض السابق أن الأطفال في ظل الحروب يواجهون العديد من الأزمات النفسية التي تؤثر مباشرةً على سلوكياتهم وشخصياتهم؛ ليس فقط أثناء الحرب ولكن تستمر الصدمة وتظهر آثارها بوضوح بعد الحرب، خاصةً في سن البلوغ والمراهقة من آثار جسمانية ونفسية وعقلية، وجميعها أمور تُفقد الطفل سماته الشخصية الطبيعية، وهو ما يستلزم معه اللجوء إلى الطبيب والمرشد النفسي؛ لمعالجة هذه الآثار وخاصة بعد الصدمة.

ثانياً: نماذج حية على الساحة العالمية اليوم" غزة تحترق

إن الصراع المسلَّح اليوم على غزة وعلى المدنيين؛ وخاصةً الأطفال الضحايا الذين لن ينسوا هذه الصور البشعة التي انطبعت في ذاكرتهم، والتي ستترك آثارًا سلبية في قيمهم ونموهم النفسي والاجتماعي والذهني؛ بسبب ما تعرضوا له من مخاطر الحرب والضغوط النفسية، وإحساسهم بالرعب وعدم الأمان أو الاستقرار، وعدم الرعاية بجميع أشكالها، وعدم إحساسهم بالحماية والسلام، وما يمتزج بإحساسهم بالخوف من الخطر الذي يتكرر أمامهم كل لحظة، واضطراب سلوكهم في المنزل والمدرسة من انفعال وبكاء، وغضب، وعدوانية، وانعزال، وفقدان الشهية لكل شيء حتى للعب أو التمتع باحتياجات الطفولة؛ حيث يجد الطفل نفسه أمام مشاهد مرعبة وفراغ قاتل جعله حبيس المكان الذي يوجد فيه، بل قد يفقد القدرة على التعبير، ويتوقع الأسوأ، ويتجه إلى السلوك الانسحابي.

لقد تنصَّلت إنسانية العدو من جميع المواثيق الدولية المتمثلة في قانون حقوق الإنسان، واتفاقيات حقوق الطفل التي تنص على تجنيب وحماية الأطفال من جميع المخاطر والتهديدات والصراعات؛ فهل يقف المجتمع الدولي باسم الإنسانية ورحمةً بالطفولة البريئة الضعيفة مطالبًا باحترام القانون الدولي الذي سبق توقيعه من جميع دول العالم؛ لحماية الأطفال من آثار النزاعات المسلحة، أو يقف خشية من الله سبحانه وتعالي؟

هؤلاء الأطفال الذي شاهدوا صور الموت والدمار؛ فمنهم من شاهد نهاية أمه، أو أبيه، أو شقيقه؛ هؤلاء من الصعب أن ينسوا هذه الصور، إن الأطفال الذين شاهدوا زملاءهم في المدرسة يموتون تحت الأنقاض، وشاهدوا مدرستهم تُهدم فوق رؤوسهم، لن ينسوا صور رفاقهم وهم يخرجون من تحت الأنقاض، إنها صورة مُجسَّمة لوحشية إسرائيل، تجسدت في قتل الأطفال، وكأنها تريد أن تحرم الشعب الفلسطيني من مستقبله، كل هذا سيبقي في ذاكرة مَن عاشوا فيه.

الجدير بالذكر، أنه لن يقتصر ذلك على أطفال غزة؛ لأن العالم كله تابع هذه الجرائم على الشاشات، وسوف تخرج أجيالًا مريضة بين الحروب التي لم تهدم البيوت والمباني فحسب؛ لكن أخطر ما فيها أنها هدمت البشر، هؤلاء الأطفال سوف يعانون بسبب صور القتل والوحشية، بل أصبحوا في حيرة يتساءلون: كيف تحدثوننا عن السلام والتسامح والأخوة الإنسانية؟ ويتساءلون: أين هذا السلام؟! ما هذه الوحشية واللاإنسانية؟! أين القيم الإنسانية ومنظمات حقوق الإنسان؟؟!

لا أعتقد أن أطفال غزة يمكن أن تغيب عن عيونهم الجرائم التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي في القتل والتعذيب؛ بل سوف يبقي في أعماق الأطفال ثأر لن ينسوه، لقد سجَّلت وسائل التواصل الاجتماعي أحداثًا كثيرة لن تُنسى، وسوف تبقي في خيال الأطفال بغزة وبالعالم كله حتى يجئ وقت القصاص؛ ولن يكون بعيدًا.

إن الوحشية التي تعاملت بها إسرائيل مع أهل غزة تجاوزت كل الحدود، وسيرى الأبناء وقت الحساب والانتقام؛ سوف تخرج كل صور القتل والدمار والوحشية، ويرى الأبناء ما فعل الصهاينة بالأطفال الصغار الذين أطلق عليهم (نيتنياهو القاتل) :"قتلة المستقبل"، ولن يكون غريبًا أن ينتقم هؤلاء الأطفال من هذا العدو الوحشي؛ فالحقائق لن تغيب عن أعين الصغار، عمليات إبادة لشعب يطالب بحقه في الحياة في وطنه المحتل.

والجدير بالذكر أن هناك العديد من النداءات الإنسانية من أصحاب الضمائر الحية في العالم؛ ومن بين هؤلاء الرجل الشجاع "أنطونيو جوتيردش" الأمين العام للأمم المتحدة الذي قالها بصراحة: (لقد أصبحت غزة مقبرة للأطفال)، وأن مئات الأطفال يسقطون يوميًا بين قتيل وجريح، قالها غير مكترث بتعليقات الإسرائيليين ومؤيديهم.

والتساؤل هنا: هل كان بالإمكان أن يتجنبوا قتل الأطفال؟ يجيب د/ أسامة الغزالي حرب في عموده بالأهرام في ٥/١١/ ٢٠٢٣؛ يقول: كان ذلك ممكنًا إلى حد كبير، ولكنهم قتلوهم متعمدين، وارجعوا لسلوكهم وأقوالهم على مر السنين وليس الآن.

لقد وضع المجتمع الدولي قواعد قانونية دولية صارمة لحماية الأطفال ضد الصراعات المسلحة والحروب تضمنتها الاتفاقية الدولية لحماية حقوق الطفل لسنة١٩٨٩، والميثاق الأفريقي لحقوق الطفل الأفريقي ورفاهته لسنة ١٩٩٩، وقد اتخذ مجلس الأمن في سبيل ذلك سبعة قرارات مهمة لحماية الأطفال في أثناء النزاعات المسلحة أولها القرار رقم ١٢٦١ لسنة ١٩٩٩، وآخرها القرار رقم ٢١٤٣ لسنة ٢٠١٤؛ ومع ذلك يقف العالم مكتوف الأيدي أمام فظاعة جرائم الكيان الصهيوني ضد الأطفال الفلسطينيين، وتوقفت عقول وقلوب العدالة أمام هذه الجرائم والمخالفات للاتفاقيات الدولية لحماية الأطفال من تلك الجرائم الجسيمة ضد الإنسانية!!

وكان الاحتفال بيوم الطفل العالمي يوم (٢٠ نوفمبر) وهو يوم اعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٥٤ (إعلان حقوق الطفل)، كيوم للتآخي والتفاهم على النطاق العالمي بين الأطفال، والتساؤل: كيف يكون احتفال غزة وأطفالها بيوم الطفل العالمي بعد ما شاهدناه من المشاهد المفزعة والمحزنة لما أصاب أطفال غزة الجريحة؟!!

وبعد التعرض بشكل سريع للمجازر التي تحدث في فلسطين بحق الشعب الفلسطيني بشكل عام والأطفال بشكل خاص، كان لا بد أن نستعرض أبرز القوانين الدولية للحفاظ على حقوق الطفل خاصةً في أوقات الحروب والنزاع المسلح، وهو ما سوف ينقلنا إلى المحور التالي عن حقوق الطفل في أثناء الحروب والتي أقرتها القوانين والتشريعات الدولية.

ثالثاً: أبرز القوانين الدولية للحفاظ على حقوق الطفل

إن الأطفال هم أكثر الفئات المتضررة من الحروب، والتي تسرق طفولتهم وبراءتهم، علاوة على تسربهم من المدارس؛ لذا كان لا بد أن تهتم الجهات الدولية بسن قوانين وتشريعات لحمايتهم في ظل هذه الظروف.

وتأكيدًا على ذلك فقد صدر تقرير منظمة الأمم المتحدة في سبتمبر ٢٠١٥ بعنوان **"التعليم تحت النار"**، والذي أوضح أن الصراعات في بعض الدول العربية (سوريا والعراق واليمن وليبيا وجنوب السودان) منعت حوالي (١٣.٤) مليون طفل من التعليم في المدارس، وهو ما يمثل (٤٠%) من الأطفال في سن الدراسة بهذه الدول، علاوة على معدلات التسرب والتي تمثلت في (٣.١) مليون طفل في جنوب السودان، و(٣) مليون طفل في العراق، و(٢.٧) مليون طفل في سوريا، و(٢.٩) مليون طفل في اليمن، و (٢) مليون طفل في ليبيا، إلى جانب (٢.٧) مليون طفل من المتمركزين في مناطق الإيواء في الأردن ولبنان وتركيا ومصر (العزيزي، ومريط، ٢٠١٨: 38.).

إن العديد من المواثيق الدولية ترى أنه ينبغي إعداد الطفل إعدادًا كاملاً ليحيا حياة فردية في المجتمع، وتربيته بروح المثل العليا المُعلنة في ميثاق الأمم المتحدة، وخصوصًا بروح السلم والكرامة والحرية والمساواة. وفي سبيل توفير رعاية خاصة للطفل تم إعلان جنيف لحقوق الطفل لعام ١٩٢٤، وإعلان حقوق الطفل الذي اعتمدته الجمعية العامة

في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٩ والمعترف به في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وفي العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (خاصة بما في المادتين ٢٣ و ٢٤)، وفي العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وخاصة في المادة(١٠)، وفى النظم الأساسية ذات الصلة بالوكالات المتخصصة والمنظمات الدولية المعنية بحقوق الطفل.

كما أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة اتفاقية حقوق الطفل في٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٩، والتي بدأ تنفيذها بتاريخ ٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٠ وفقًا للمادة ٤٩، وخاصةً في المادتين(٢٣، ٢٤)؛ حيث تنظم المادة (٢٣) حقوق الطفل اللاجئ في الرعاية الصحية والنفسية والتعليم، وتقضي بأن "يتلقى الأطفال وأسرهم المساعدات الإنسانية المناسبة الموضَّحة في هذه الاتفاقية وغيرها من الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان"، أما المادة (٢٤) فتنص على "ضرورة الاهتمام بالطفل المعاق عقليًا أو جسديًا وتوفير حياة كاملة وكريمة في ظروف تكفل له كرامته، وتعزز اعتماده على النفس، وتُيسِّر مشاركته الفعلية في المجتمع (اليونسيف، ١٩٩٠).

وفي مايو ٢٠٠٢ عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورة استثنائية خاصة بالطفولة وتأثير النزاع المسلح على الأطفال، صدر عنها "إعلان عالم جدير بالأطفال" مصحوبًا بخطة عمل لتنفيذه، وناشد القادة والرؤساء جميع أعضاء المجتمع الانضمام إليهم في حملة عالمية تساعد في بناء عالم جدير بالأطفال من خلال العديد من المبادئ التي تتمثل في حماية الطفل من الفقر، وجعل الطفل أولًا، ورعاية كل طفل، وحماية الأطفال من الاستغلال والعنف، وغيرها من المبادىء التي تشمل الحماية الكاملة للطفل تحت كافة الظروف وفي جميع الأوقات (اليونسيف، ٢٠٠٢ والمفتي ، ٢٠١٨: ٢٤٠ –٢٤١).

وفي الدورة التاريخية للجمعية العامة التي خُصِّصت للطفل؛ اعتمدت وفود من ١٩٠ بلدًا الإعلان وخطة العمل الواردين في الوثيقة المعنونة "عالم صالح للأطفال أ"، القرار دإ،٢٧/٢، وقد ألزمت تلك الوثيقة الحكومات بمجموعة من الأهداف المحدّدة زمنيًا لصالح الأطفال والشباب؛ مع التركيز بشكل خاص على: تعزيز الحياة الصحية، وتوفير التعليم الجيد، وحماية الأطفال من الإيذاء والاستغلال والعنف (اليونسيف، ٢٠٠٥: ٢)، وهو ما يضمن للأطفال حق الصحة والتعليم والحماية من العنف في جميع الأزمنة والأماكن بما فيها الحروب والنزاع المسلح.

وقد أفرد الدستور المصري في نصوصه عشرات البنود والنصوص لتلك الحقوق في صورها المتعددة (الحقوق المدنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية)، كما أطلق الرئيس السيسي الاستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان في سبتمبر ٢٠٢١، بناءً على منهج تشاركي وتشاوري واسع، وهو ما أكدته لجنة الحوار الوطني ٢٠٢٣ من حق الطفل في: الرحمة والرأفة والحنان والحب، وإبعاده عن كل ما يعانيه من يأس أو إحباط أو تهديد أو قلق أو الشعور بعدم الأمان؛ وبهذا ينبغي أن تُسقى الطفولة.

كما أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ ويتكون من (٣٠) مادة ووقَّعته مصر عام ١٩٦٧، يعني حفظ كرامة الأنسان وحريته وسلامته، والتي نصت المادة الأولي منه على أن: "جميع الناس أحرار ومتساوون في الكرامة والحقوق، وُهبوا عقلًا وضميرًا، وعليهم أن يتعاملوا مع بعضهم البعض بروح الإخاء؛ بغض النظر عن الدين أو الجنس أو العقيدة".

وشتان ما بين نص الإعلان وتطبيقه؛ حيث زادت المواجهة والتصاعد الحاد في انتهاك حقوق الإنسان، وأصبحت هناك حاجة لتفعيل وحماية هذه الحقوق إزاء أي انتهاك قد يُرتكب ضدها؛ سواء كانت هذه الحقوق فردية أو جماعية؛ مما يتطلب:

- رفع الظلم بجهود المواطنين من ذوي الحس الوطني الإنساني، واسترداد الحقوق المُغتَصبة.
- حماية مصالح الوطن ووحدته.
- عدم دفن الرؤوس في الرمال؛ فالتغطية لا تحل المشكلات، وإخفاء الحقائق المُرَّة لا يؤدي إلى زوالها.

وجميع المواثيق الدولية أكدت على حماية الأطفال من العنف والإيذاء في النزاع المسلح والحروب، وأن البلد المضيف لهم لا بد أن تقوم بحمايتهم بموجب هذه القوانين الدولية من العنف والفقر، مع توفير الرعاية الصحية، والحماية، والحياة الكريمة، والمساواة بالمواطنين حتى لو كانوا يعيشون في ملاجئ؛ علاوة على إقامة المدارس والأبنية الصحية لهم، وضرورة رعاية الأهل لهم بشكل سليم لتخفيف حدة الصدمات النفسية التي يواجهونها، إلى جانب تعاون الإعلام؛ وهو ما سوف ينقلنا إلى المحور التالي عن الآليات المقترحة للحد من الآثار النفسية والاجتماعية التي يتعرض لها الطفل في الحروب والنزاع المسلح.

رابعًا: آليات مقترحة للحد من الآثار النفسية والاجتماعية التي يتعرض لها الطفل أثناء الحروب والنزاع المسلح

سوف يتم تقسيم هذه الآليات في ضوء الأدوار التي تقوم بها الجهات المعنية بالاهتمام بالطفل:

١. **دور الأهل:** يؤدي الأهل دورًا كبيرًا في التخفيف من الأعراض النفسية التي تظهر على الطفل، ولكن حتى يمارس الأهل هذا الدور لابد أن يجتازوا العديد من الدورات التوعوية والتثقيفية؛ والتي تعزز فهم أطفالهم وتعرُّف أهم احتياجاتهم أثناء الحروب وبعدها؛ ومن بين هذه الأدوار ما يلي:

- أن يعمل الأهل دومًا على إشعار أطفالهم بالاطمئنان، وعدم تركهم وحدهم فترات طويلة.
- الحديث المتواصل معهم، وإشعارهم دومًا أنهم بخير، وأن هذا الأمر لن يتكرر مرة أخرى، مع الإجابة بشكل فوري عن الأسئلة التي تدور في أذهانهم؛ حتى لا تتراكم الخبرات السيئة في أذهانهم؛ مما يعمل على استقرارهم نفسيًا.
- إشعارهم دائمًا أن ما حدث كان شيئًا عرضيًا وأنه لن يستمر طويلًا، وأنهم دائمًا بخير ولن يصيبهم ضرر.
- أن تتكلم الأسرة وتشرح بكل هدوء لأطفالها ما يحدث على أرض فلسطين، وطبيعة الصراع التاريخي.
- توعية جميع الأطفال بقدسية مدينة القدس، وأهميتها للمسلمين والمسيحيين، وبالتالي فنحن نتضامن مع الشعب الفلسطيني في محنتهم.

- من الأفضل عدم التحدث أمام الأطفال عن الحرب والعنف والقتل، وعدم ترك الأطفال يشاهدون هذه المجازر لفترات طويلة؛ تجنبًا لما يحدث من آثار صدمات وخوف واكتئاب وكوابيس وهلع.
- تخصيص وقت معين لمشاهدة الأخبار في عدم وجود الأطفال.
- التفكير والسعي على حماية واحتواء أطفالهم في مناخ يسوده السكينة والهدوء، ونعرِّفهم بأن الله خلق الخير والشر، وهما مستمران على الأرض ما بقي الإنسان.
- تحفيز الأطفال، وتدريبهم على القيام بالواجبات الإنسانية، والتلاحم والتماسك، وحب الآخر، والتحكم في المشاعر، وحب العطاء؛ كنوع من الإيجابية والمشاركة الفعَّالة.
- احترام عقول الأطفال، واطلاعهم على ما يحدث بما يتناسب مع قدراتهم العقلية والنفسية؛ تجنبًا للمشاكل النفسية التي قد يُصابون بها.
- إسعادهم في الأعياد؛ وخاصة في عيد الطفولة، وتكريمهم وإغداق الحب والحنان عليهم، ورعايتهم، وتنمية إحساسهم بأهميتهم في الأسرة.

٢. دور الباحثين:

- إجراء دراسات لتعرُّف الآثار النفسية للحروب على الأطفال في جميع المراحل؛ وذلك من أجل وضع البرامج الوقائية والعلاجية التي تتناسب مع المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل الذي يعاني من المشكلات السلوكية والنفسية.
- إجراء دراسات تطبيقية في الدول العربية والأجنبية التي حدثت فيها الحروب.

٣. دور الإعلام:

- تقديم البرامج التوعوية للأهل من خلال الفضائيات العربية.
- تقديم برامج أطفال ترفيهية تخلو من العنف، وتثير بهجة الأطفال.

٤. دور المدرسة:

- التعاون مع المراكز الصحية والاجتماعية المجاورة للمدرسة لتقديم خدمات الصحة النفسية للأطفال، وترسيخ فكرة العلاج النفسي لدى أولياء الأمور للوقاية من الصدمات النفسية.
- تشجيع أولياء أمور الطلاب على طلب الاستشارات النفسية التي تقدمها هذه المراكز الصحية؛ خاصة التي تتعلق بالأمراض النفسية والعصبية.
- توفير الأساليب القياسية التي تُمكِّن المرشد النفسي من أداء مهام عمله، والتي تقيس الآثار النفسية الناجمة عن الحرب، وأكثر هذه الآثار تأثيرًا على الطفل.
- عقد دورات تدريبية للمعلمين والمديرين والمرشدين النفسيين؛ ليتم تأهيلهم للتعامل مع الطلبة خلال الأزمات والحروب.
- التعاون الكامل بين الإخصائي الاجتماعي في المدرسة وبين الأهل في المنزل، من خلال إطلاع أولياء الأمور على ملاحظاتهم على أطفالهم، ووضع خطة علاجية لتخفيف آثار الحروب عليهم.
- تفعيل دور المرشد النفسي؛ لتمكينه من إعداد جلسات نفسية مع الطلبة الذين يعانون من مشكلات سلوكية ناجمة عن الآثار النفسية التي زرعتها فيهم ظروف الحرب التي مروا بها.

- ضرورة إعداد برامج توجيهية إرشادية لتوعية أولياء أمور الطلاب؛ وخاصة الأمهات؛ في كيفية التعامل مع أبنائهم الذين يعانون من مشكلات نفسية وسلوكية؛ علاوة على توعيتهم بكيفية التعامل معهم أثناء الحروب.

٥. دور الدولة:

- تقديم الدعم النفسي لجميع الأطفال خاصة الذين تقع مساكنهم بالقرب من المناطق التي تعرضت للقصف.
- الاهتمام بجميع الأطفال، وليس فقط الذين جُرحوا أو فقدوا أسرهم أو أقاربهم أو بعضًا منهم؛ لأن الجميع يعيشون نفس الصدمات النفسية.
- تكثيف الجهود في تقديم الدعم النفسي والاجتماعي للأطفال.
- تفعيل القوانين والاتفاقات الدولية التي تُحرِّم استهداف المدارس، أو استخدام هذه المدارس كمخازن للسلاح أو جعلها ثكنات عسكرية، وكذلك التي تُحرِّم تجنيد الأطفال أو استخدامهم كدروع بشرية أثناء الحروب والصراعات.
- تمويل برامج الدعم النفسي في مختلف المراكز ومؤسسات الرعاية النفسية للأطفال وأسرهم.
- دعم ذوي الإعاقات الناجمة عن الحرب ودمجهم في المجتمع بعد تقديم الدعم والعلاج الصحي والنفسي لهم بشكلٍ كافٍ.
- إقامة ملاعب واسعة للأطفال في الحدائق، للتنفيس عن الكبت النفسي لديهم.

المراجع

المراجع العربية:

- حرب، أسامة الغزالي(٢٠٢٣). كلمات حرة- أطفال غزة، جريدة الأهرام، ٥ نوفمبر.
- ابن منصور، صالح مصباح سالم، والحسيني، حسين محمد سعد الدين (٢٠٢١). اضطراب ما بعد الصدمة لدى الأطفال. المجلة العلمية لكلية التربية للطفولة المبكرة، مج(٧).ع(٣). ص ص ٢٢٤ – ٢٥.
- الشامي، فدوى أحمد دياب (٢٠١٩). اضطرابات السلوك الناتجة عن صدمة الحرب لدى تلاميذ المرحلة الأساسية في مدينة صنعاء، مجلة مركز جزيرة العرب للبحوث التربوية والإنسانية. مجلد(١). العدد(٢).ص ص 8- 56.
- جمال، يافا نايف وأبو جدي، أمجد أحمد جميل (٢٠١٦). قياس مستوى المنعة النفسية والتكيف النفسي لدى الأطفال المعرضين لخطر الحروب ومقارنتهم بعينة من الأطفال الطبيعيين، رسالة ماجستير غير منشورة(جامعة عمان الأهلية).
- عبد الجبار، أسماء (٢٠١٥). الحروب وآثارها النفسية على أطفال محافظة ديالى، مركز أبحاث الطفولة والأمومة" العراق"، الكتاب السنوي، المجلد العاشر.
- الشويع، نبيلة علي أحمد (يوليو- سبتمبر ٢٠٢١م). أثر الحرب النفسية والسلوكية على الأطفال في مرحلة التعليم الأساسي في اليمن" منطقة بني الحارث في أمانة العاصمة نموذجًا"، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد٤٧، المجلد٨.
- أوزى، أحمد عبدالرحمن (٢٠١٩). مشاكل الأطفال ومآزمهم النفسية في ظل الحرب والنزاع المسلح. مجلة خطوة، ع،٣٥، ص ص ٢٠ – ٢٣ .
- العزيزي، حمود عبده حسان ومريط، بكيل عبد الله مقبل (٢٠١٨). أثر الحروب والصراعات المسلحة على التحصيل الدراسي لدى طلبة المرحلة الأساسية بأمانة

العاصمة من وجهة نظر المعلمين. مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد (١٧).

- اليونسيف (١٩٩٠). اتفاقية حقوق الطفل، مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، الموقع الإلكتروني: نص-اتفاقية-حقوق-الطفل/اتفاقية-حقوق-الطفل #www.unicef.org/ar/
- اليونسيف (٢٠٠٢). تأثير النزاع المسلح على الطفل، الدورة السابعة والعشرون للجمعية العامة المعنية بالطفل، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، الموقع الإلكتروني: https://press.un.org/en/2002/ga10019.doc.htm
- المفتي، سلمى سائد(٢٠١٨). حقوق الطفل دراسة في الشريعة الإسلامية والقانونين الإماراتي والدولي، مجلة كلية الحقوق "جامعة المنيا" ، ص ص ٢٤٠-٢٤١.
- الأمم المتحدة (٢٠٠٥). تقرير الأمين العام عن متابعة نتائج الدورة الاستثنائية المعنية بالطفل تعزيز حقوق الطفل وحمايتها، ص ٢. الموقع الإلكتروني:
  - https://documents-dds-ny.un.org/doc/UNDOC/GEN/N05/454/83/PDF/N0545483.pdf?OpenElement
- رستم، رسمي عبد الملك (٢٠٠١). دليل حقوق الطفل للتربية من أجل السلام، القاهرة: اليونسيف.
- رستم ، رسمي عبد الملك (٢٠٢٣). أطفال بلا طفولة، جريدة الأهرام، ٧ ديسمبر.

المراجع الأجنبية:

- Gonçalves Júnior J, de Amorim LM, Neto MLR, Uchida RR, de Moura ATMS, Lima NNR. (2022) The impact of "the war that drags on" in Ukraine for the health of children and adolescents: Old problems in a new conflict? Child Abuse Negl.;128:105602. doi: 10.1016/ j.chiabu.2022 .105602.
- Cincurova, S. (2022). Ukraine's Kids Are Literally on the Front Line. FPINSIDER ACCESS.https:// foreignpolicy .com/2022 /02/17/ukraine-russia-crisis-invasion_ children-kindergarten-school/.
- Kuru, Nilufer; Alici, Nilgun Kuru & Akman, Berrin (2023) The social ecology of health promotion within war-effected refugee preschool children. International Journal of Intercultural Relations. Vol. 94
- Auxéméry**,** Yann .(2022) How do we deal with the psychological consequences of war? The psychological impacts of war**.** European Journal of Trauma & Dissociation 6(3), DOI :10. 1016/j.ejtd.2022.
- Deputy, S.R.; Khakoo, Y. & Jr., S.M. Gospe (2022) Adverse Effects of War and Armed Conflict on Children, Pediatric Neurology, 130, 69-70